صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية

The image of women in Algerian and Tunisian proverbs

د. فريد مناصرية♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال:DOI 10.33705/0114-028-001-019

تاريخ الإرسال: 2025 /01/10 تاريخ القبــول: 13 / 10/ 2025 تاريخ النشر: 2026/03/15

ملخّص: تحاول هذه الدراسة بالشرح والتحليل والنقد؛ الإحاطة بجملة من الأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية، من خلال تقديم مفاهيم عن الأمثال الشعبية، وكذلك خصائصها، ووصولا إلى دراسة تطبيقية تستند على "المنهج المقارن" وإلى مقولات من "النقد النسوي" والنقد الثقافي" لتبيان صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية.

كلمات مفتاحيّة: صورة؛ امرأة؛ أمثال؛ شعبية.

Abstract: This study attempts, through explanation, analysis and criticism, to encompass a set of Algerian and Tunisian popular proverbs, by presenting concepts about popular proverbs, as well as their characteristics, and reaching to an applied study based on the comparative approach and on speeches from feminist and cultural criticism to clarify the image of women in Algerian and Tunisian popular proverbs.

Keywords: Proverbs; Woman; Popular**.**

♥ المدرسة العليا للأساتذة–بوزريعة، الجزائر.

البريد الإلكتروني: faridmfn@gmail.com (المؤلف المرسل).

مقدّمة: تعتبر الأمثال الشعبية أحد أهم الأجناس الأدبية في خطابنا الأدبي والثقافي، ولا غرو في ذلك، فالأمثال الشعبية لما لها من خصائص لغوية وفنية وجمالية أصبحت مصدرا مهمًّا للحفاظ على تاريخنا الأدبي والثقافي، والفكري عموما. فالأمثال الشعبية تمتاز بلغة راقية تجمع بين الفصحى والعامية، وهو ما يسهل على الناس حفظها وأيضا فهمها، كذلك نجدها سريعة الجري بين الألسن، فكل الناس يتداولون الأمثال بينهم، كما أن الله جل في علاه ضرب المثل في القرآن الكريم عدة مرات، وكذلك رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام هذا ما يدلل على قيمة المثل وأهميته في حياة الناس؛ خاصة وأن الناس يشتركون في مختلف الحوادث التي يمرون بها.

وقع اختيارنا على: "صورة المرأة في الأمثال الشعبية " كمدونة للدراسة لما تحمله المرأة من مكانة مهمّة وحساسة في حياتنا ومجتمعاتنا بصفة عامة فهي شريكة لنا وجزء من حياتنا، فهي: الأم، والبنت، والأخت والزوجة...كما أن القارىء المتفحص للأمثال الشعبية يجد إجحافا كبيرا في حق المرأة، من خلال تصويرها في صور لا تعكس مكانة المرأة الحقيقية التي حفظها لها ديننا الحنيف. من هنا كانت الحاجة ملحة، بل وضرورية للكشف عن بعض هذه الصور التي لا تعكس صورة المرأة الحقيقية.

إن هذه الصور غير السوية عن المرأة؛ في كثير منها ناتج عن إيراد المثل وضربه في غير موضعه، جهلا من صاحبه، أو قصدا منه، حتى يبرر أفعاله وسلوكاته. كما أن سبب اختيارنا للأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية دون غيرها من الأمثال الشعبية، راجع للتقارب الجغرافي والثقافي والحضاري والفكري بين الشعبين، وحتى نكون أقرب للعلمية فإن سبب اختيار العينة (الجزائر وتونس) لا نراه بنفس درجة وأهمية مجال الدراسة، ونعني بذلك الشق الذي طرقناه في الدراسة وهو صورة المرأة. ذلك أن الأمثال الشعبية العربية تشترك في كثير من

الأشياء خاصة من ناحية المضمون، لأن الثقافات تتعالق وتشترك في كثير من الأشياء، أما الاختلاف البيّن فنجده في لغة هذه الأمثال الشعبية، ومرد ذلك هو لغة الأمثال الشعبية؛ فالأمثال الشعبية تشترك فيها اللغة الفصحى والعامية أيضا؛ والعامية تختلف من دولة لأخرى؛ بل تختلف حتى من منطقة وأخرى. وعليه كانت إشكاليتنا؛

إلى أي مدى استطاعت الأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية أن تصور المرأة بالنظر إلى مكانتها الأُسَرِية والمجتمعية؟.

1. الأمثال الشعبية؛ تعريفها وخصائصها

1.1 لغة: جاء في لسان العرب تعريف المثل: "مثل: مِثل: كلمة تسوية. يقال: هذا مِثله ومَثَلَه كما يقال شِبهه وشَبَهَه بمعنى: قال ابن بري: الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين، نقول: نحوه كنحوه وفقهه كفقهه ولونه كلونه وطعمه كطعمه، فإذا قيل: هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يسدّ مسدّه، وإذا قيل: هو مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة"[1]. أما في القاموس المحيط: "والمثل، محرّكة: الحجة والحديث، وقد مثّل به تمثيلا وامتثله وتمثّله، (..) وتمثّل بالشيء: ضربه مثلا. والمثال: المقدار، والقصاص، وصفة الشيء، والفراش، ج: أمثلة ومُثُل"[2].

2.1 أما في دلالتها الاصطلاحية: فالمثل الشعبي من الفنون القديمة التي عرفها الإنسان منذ قديم الزمان، فأخذ الناس يصورون تجاربهم وأحاسيسهم ومكنوناتهم في صور أدبية وفنية راقية تَمَثلها المثل الشعبي، فالمثل الشعبي من أهم الفنون الأدبية التي تقرب الصورة إلى ذهن المتلقي من خلال عقد "مماثلة ومقارنة" بشيء آخر، وعليه نجد أوجه التشابه متطابقة أو متقاربة بين المشبه والمشبه به، فالمثل الشعبي هو الذي يشبه مضربه بمورده كما يقول ابن القيم

الجوزية: "الذي يشبه به حال الثاني بالأول. أو هو الذي يشبه مضربه بمورده"[3]. والأمثال لا تقتصر على البشر فقط، بل إن الله عز وجل ضرب عديد الأمثال للناس في كتابه العزيز، كما أن رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ضرب الأمثال للناس لتقريب الفهم، وللعبرة ولتقويم سلوكات الناس وتحسين أخلاقهم.

لقد احتلت الكتب والدراسات التي تُعنى بالأمثال مكانة هامة ورفيعة لدى العلماء والمفكرين والأدباء، فنجد عدة صنوف من الكتب والآثار التي أحاطت بالأمثال وجماليتها وبنيتها الفنية والاجتماعية والثقافية وبخاصة الدينية، بحيث نجد العلماء الذين يعنون بالتفاسير والتراجم والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم وتفسيره، يبوبون أبوابا مختلفة عن الأمثال التي أوردها الله جل في علاه في كتابه العزيز، ويدرسونها من جوانب ومجالات مختلفة (لغوية، فقهية، بلاغية تاريخية، أخروية...)، الأمر نفسه نلمسه في الكتب والدراسات التي عنيت بالسنة النبوية المطهرة وما تخللها من أمثال تصور للناس حياتهم وحياة من سبقهم؛ وكيفيات تقويم سلوكهم مع ما يتمشى والعقيدة السليمة والأخلاق السوية.

يمتاز المثل الشعبي بجملة من الخصائص اللغوية والفنية والشعرية التي تميزه عن غيره من الفنون الأدبية الأخرى، فالمثل:

– **قول موجز:** ومعنى ذلك أن المثل الشعبي قصير ومحدود الطول؛ فلفظه يسير ومعناه عظيم. فعموم الأمثال الشعبية نجدها لا تجاوز سطرا أو سطرين وفي كثير من الأحياء تكون ملفوظين أو أربعة فقط، ومثال ذلك المثل القائل: "**خوك خوك ما يغرك صاحبك**"، "**إلي يصبر ينال**"، "**فردة ولقات أختها**" "**الشركة هلكة**"... وغيرها من الأمثال الشعبية محدودة الطول ولكنها تصيب المعنى بأسلوب فني جميل؛

– **قول بليغ:** نجد المثل الشعبي بليغ القول؛ إذ يصيب المعنى بأقل الكلمات، وهو ما يتوافق مع البلاغة التي هي معان كثيرة في ألفاظ قليلة. فالمثل الشعبي قول بليغ يعبر عن غزير المعنى ويصيبه بقليل اللفظ. وينطبق هذا على كل الأمثلة الشعبية، فأيما مثل أردنا وجدناه قليل اللفظ مصيب المعنى، وهذا هو عين البلاغة. ومن أمثلة ذلك مثالنا الشعبي: «**في التأني السلامة وفي العجلة الندامة**»[4]؛

– من الخصائص الجميلة التي نجدها في الأمثال الشعبية أنها لا تنحصر في فئة أو طبقة دون أخرى، وبمعنى آخر فإن قائل المثل هو المثقف، والأميّ ومن هو دونهما. لذلك نجد عموم الناس يضربون الأمثال ويلقونها بينهم بغض النظر عن مستواهم الدراسي أو التعليمي، وبغض النظر أيضا عن مكانتهم بين قومهم، هذا ما سهّل تداول الأمثال وتناقلها بين الناس بمختلف فئاتهم وطبقاتهم، لذلك نجد الأمثال الشعبية عادة تتناقل بين الأجيال دونما تدوين لها فهي تلقى في عمومها مشافهة بين الناس، كما أن المثل الشعبي يصور لنا حادثة أو موقفا جرى بين الناس فيستحضر القائل ذلك المثل من أجل عقد مماثلة ومشابهة، وبهذا يكون المثل الشعبي سريع الجري بين الثقافات والشعوب المختلفة، لأن الناس عادة يتشاركون في مختلف الحوادث والظواهر التي يمرون بها في حياتهم.

2. المرأة ومقولات النسوية: ظهرت الحركة النسوية في التربة الغربية في ستينيات القرن الماضي متأثرة بعدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية وأدبية، والمتأمل في تاريخ وواقع الحركة النسوية الغربية يجدها حركة سياسية المنشأ، فأول ما ظهرت الحركة النسوية كانت مطالبها سياسية تقوم بالأساس على المساواة بين الرجل والمرأة، وبعبارة أخرى التخلص من الهيمنة والسلطة الذكورية التي قيدت المرأة وجعلتها سلعة تباع وتشترى في النظام الرأسمالي

الغربي، فلم يكن للمرأة الغربية قيمة كبرى داخل الوسط المجتمعي الغربي، من هنا كانت الدعوة من النساء الغربيات كـ: سيمون دوبوفوار (Simone de Beauvoir) وجوليا كريستيفا (Julia Kristeva) وكيت ميليت (Kate Millett) وغيرهن من رائدات الحركة النسوية إلى الخروج من الهيمنة الذكورية، والدعوة إلى خطاب أنثوي يقوم على خصوصيات معينة تعكس صورة المرأة كما تراها المرأة، وليس كما يصورها الآخر الذكوري، فلم "تظهر حقيقة النسوية في الشكل الأدبي الفني بل ظهرت بادىء الأمر كحركة سياسية تهدف إلى تحسين وضع المرأة الاجتماعي، ثم انعكس ذلك على موقعها الأدبي ومحاولة فرض قيمتها الخاصة في الثقافة الذكورية المهيمنة على الإبداع والفن"[5].

انتقل الخطاب السياسي النسوي من الحقل السياسي إلى بقية الحقول والمجالات العلمية والمعرفية الأخرى؛ كالاقتصاد والفلسفة والاجتماع، والخطاب الثقافي والأدبي، لقد تأثرت مجمل أفكار النسويات الغربيات بما قدمه عدد من الفلاسفة والمفكرين خاصة مقولات المُفَكِرَيّن الفرنسيين: جاك دريدا (Jacques Derrida) وميشال فوكو (Foucaul Michel) بحيث كان الخطاب التفكيكي لجاك دريدا وميشال فوكو قاعدة وأصلا للانطلاق في تفكيك الخطاب الذكوري المهيمن، وعليه لا يمكننا الحديث عن النسوية الغربية دون المرور على مجمل المقولات الفلسفية والفكرية لجاك دريدا وميشال فوكو خصوصا، والمقولات ما بعد الحداثية التي قامت بتقويض وتفكيك كل الخطابات الغربية، فلم يعد هناك مركز في الفكر الغربي يُمكّننا من تحليل الأشياء وتفسيرها وفهم العالم. ثم إن الحديث عن النسوية الغربية لا يعني بالضرورة ذلك الخطاب الذي تبنته عدد من النسويات الغربيات، لأن الفكر النسوي الذي انتشر في التربة الغربية حمل لواءه أيضا عدد من الفلاسفة والمفكرين الغربيين الذين نادوا بضرورة النظر في واقع المرأة الغربية، وإعطائها حقها كاملة غير منقوصة، وعليه فإن الحديث عن

الأدب النسوي لا يعني بالضرورة ذلك الخطاب الذي تبنته النسويات فحسب بل يتعداه إلى عدد معتبر من الكتابات "الذكورية" التي تعاطفت مع المرأة ودعمتها ورأوا في مطالبهن حقا مشروعا.

أما الحديث عن الأدب النسوي العربي فحاله من حال بقية النظريات والمناهج والاتجاهات الغربية الوافدة إلينا؛ فالخطاب الأدبي والثقافي العربي في عمومه متأثر وتابع لكل ما هو غربي ومفتون به، ولعل ذلك مبرر إلى حد كبير إذا نظرنا إلى التأخر الكبير الذي نعيشه في واقعنا الاقتصادي والصناعي والحضاري والثقافي، فكثير من المناهج والاتجاهات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة هي غربية المولد والنشأة، وما النقد العربي المعاصر إلى متلق لها ثم إن عملية التلقي العربي لهذه الفلسفات والاتجاهات والمناهج الغربية كثيرا ما كانت مشوهة ولا تعكس واقعها في تربتها الأصلية، فنجد تعددا للمصطلحات وكذا تعدد التسميات للشيء الواحد، كما نجد تضاربا واختلافا بين النقاد في عملية تلقيهم لهذه المناهج الغربية، ثم إن كثيرا من عملية تلقي هذه المناهج الغربية تجسّد في الجانب النظري دون التطبيقي، ما انعكس سلبا على تطبيق هذه المناهج على المدونات الأدبية والثقافية العربية المختلفة.

إن المبررات التي أخذ بها مفكرو وفلاسفة الأدب النسوي في التربة الغربية في مواجهة الخطاب والفكر الذكوري المهيمن قد نجد لها مبررا إذا ما نظرنا إلى واقع المرأة المعاش وما تعانيه في ظل نظام رأسمالي غربي جعلها سلعة محددة تباع وتشترى دون أي مراعاة لإنسانيتها، لكن بالمقابل إذا نظرنا إلى واقع المرأة في التربة العربية والإسلامية نجد الواقع مختلفا تماما، فالمرأة العربية في عمومها لها حقوقها الدينية والأدبية والثقافية والحضارية التي لا يمكن أن تمس لأن الدين الإسلامي تكفل بصون وحفظ حقوق المرأة المسلمة، وهذا لا يعني أنه لا توجد تجاوزات في حق المرأة، بل هناك تجاوزات مختلفة وعديدة في حق

المرأة –كما سيأتي في قراءتنا التطبيقية عن صورة المرأة في الأمثال الشعبية– ثم إن هذه التجاوزات لم تصل إلى نفس المستوى الذي وصلت إليه المرأة الغربية هذا ما يثير فينا التساؤل عن حقيقة تبني أفكار ومطالب النسوية الغربية وزرعها في الخطاب الأدبي والثقافي العربي والإسلامي؟. هل نحن بحاجة لتبني هذه الأفكار وبثها في خطابنا الأدبي والثقافي والديني وحتى السياسي والاقتصادي؟. الواقع يقول غير ذلك؛ لأن ديننا الحنيف تكفل بحفظ وصون حقوق المرأة بعيدا عن المساواة مع الرجل، لأن الذكر ليس كالأنثى، ثم إن المرأة السليمة ترفض أن تكون بنفس حقوق الرجل وأن تساويه في ذلك، وعليه يكون للمرأة الحق في الدفاع عن مطالبها مع ما يتمشّى وتعاليم ديننا الحنيف وبعيدا عن كثير من الأفكار التي لا تتوافق وتتمشّى مع طبيعة الثقافة العربية والإسلامية.

3. **صور المرأة وتمثلاتها في الأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية:**

تعددت صورة المرأة في الأمثال الشعبية واختلفت باختلاف مكانتها بين أهلها وقومها (بنت، أخت، أم، زوجة، حماة، جدة...)، ولكن ما هو ملاحظ كما سيأتي أن كثيرا من صور المرأة في الأمثال الشعبية لا تعكس مطلقا مكانة المرأة باعتبارها شريكا أساسا في حياة الرجل، فهي الأم، والأخت والبنت والزوجة.... وعليه لا يمكن أن ننقص من قدر المرأة ونصورها في صور لا تعكس حقيقتها، ولا تعكس أيضا مكانتها التي حفظها لها ديننا الحنيف.

بعد قراءتنا لعدد معتبر من الأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية والعربية عموما، وجدنا تشابها وتعالقا كبيرا بين الأمثال الشعبية العربية، فلم يكن الاختلاف كبيرا بين مضامين هذه الأمثال الشعبية، ولعل ذلك مبرر لأن الثقافات والعادات والتقاليد التي تجمع شعوبنا هي وليدة الثقافة الإسلامية والعربية، وعليه لم نلمس اختلافا كبيرا بين مضامين الأمثال الشعبية الجزائرية

والتونسية، كما لم تختلف كثيرا صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية إلا في حدود معينة، وأما الاختلاف الأساس بين هذه الأمثال الشعبية فهو على مستوى اللغة، ونعني بذلك اللغة العامية التي تلفظ بها الأمثال الشعبية، فاللغة العامية (الدارجة) تختلف اختلافا واضحا وجليا بين الجزائرية والتونسية، ولكن ليس لدرجة عدم وجود توافق في مخارج الحروف والملفوظات بل قد تكون اللغة العامية التي يقال بها المثل التونسي شبيهة إلى درجة التوافق بين المثل الجزائري الذي يلفظ في المناطق الشرقية من الوطن، وعلى وجه الخصوص الولايات التي تحد تونس من الجهة الشرقية، كولاية: تبسة، وسوق أهراس، والطارف، والوادي....وعموما سنقف عند صور المرأة المختلفة في الأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية.

1.3. صورة الأم: تعتبر الأم ذلك الشيء المقدس الذي يتبوأ درجة عالية خصّها بها ديننا الحنيف، بل إن الأم لها مكانتها المرموقة والشامخة التي حفظتها كافة الأديان والثقافات، فالأم هي نبع الحياة والحنان والحرية، وهي خير ما يمكن أن يجد الإنسان من صحبة، والحديث عن الأم وفضائلها وحقوقها أكبر من أن نذكره في هذا الموضع، ولكننا سنقف عند بعض الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة التي تبين مكانة الأم وحقوقها العظيمة التي لن يستطيع إلا من وفقه الله جل في علاه إلى حفظها وصونها ذلك أن ثقافتنا العربية بالأساس نابعة من تعاليم ديننا الحنيف، ولا يمكن الحديث عن صورة الأم دونما معرفة مكانة الأم في الإسلام، لأن الأمثال الشعبية تغترف من واقعنا الإسلامي وتستمد وجودها منه، فالدين مكون أساسي ومحور فعال في بلورة وصياغة كثير من الأمثال الشعبية، يقول الله عز وجل: **﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا 23**

وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا 24﴾ القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآيتين: 23 و24. ويقول أيضا الله جل في علاه: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**﴾. القرآن الكريم، سورة الأحقاف. الآية:15. ويقول أيضا الحق تبارك وتعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾. القرآن الكريم، سورة لقمان، الآية: 14.

أما في السنة النبوية المطهرة فسنورد حديثا واحدا يبين لنا مكانة الأم وعظيم حقها ﴿**جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقالَ: مَن أَحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قالَ: أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أَبُوكَ. وفي حَدِيثِ قُتَيْبَةَ: مَن أَحَقُّ بحُسْنِ صَحَابَتِي وَلَمْ يَذْكُرِ النَّاسَ**﴾ [6]. والاستشهادات كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية لعظم حق الأم ومكانتها، وعليه سيكون تأثير ذلك كبيرا على صورة الأم في الأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية، لأن الثقافة الجزائرية والتونسية هي إسلامية بالأساس، والإسلام مكون أساسي وفعّال في هذه الأمثال الشعبية؛ فصورة الأم في الأمثال الشعبية الجزائرية لم تختلف تقريبا عن صورة الأم في الأمثال الشعبية التونسية، وذلك مبرر إذا نظرنا إلى الأسباب الدينية، وحتى الأسباب الثقافية والاجتماعية وكل ما يتعلق بعادات الشعبين.

صُورت الأم في الأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية بصور مختلفة الاتجاهات ولكنها واحدة المورد، فكانت الأم ذلك الشيء المقدس الذي وجب تقديره وإجلاله وإنزاله منزلته، ومن الأمثلة الجزائرية التي صورت الأم في أجمل صورها المثل القائل: "**ما كان كالأم حبيب وما كان كالسعي طبيب**"، أي لا يوجد محبوب كالأم، وهو تصوير جميل وراق يعكس مكانة الأم التي تبقى هي

المحبوبة دونما مصلحة أو شرط، كما أن الأم تبقى على نفس النهج والعاطفة والإحساس تجاه أبنائها مهما حلّ وألم بها. هذا المثل الذي سقناه يتوافق من حيث مضمونه مع المثل التونسي القائل: "**ريحة أمي تشفيني ولو بالسم تسقيني**"[7]. أي أن رائحة الأم تشفيني ولو بالسم تسقني، فرائحة الأم تشفيني أي أن مجرد شم رائحتها يبعث على الشفاء والراحة، فما بالك بوجودها، بل إن المثل يصور الأم في صورة تجاوز رائحتها ووجودها إلى أنها حتى لو تسقني بالسم فهو الشفاء لي، وهي صورة شاعرية تبين لنا عظيم وجود الأم في حياتنا.

كما نجد المثل التونسي الآخر الذي يقول: "**ما يحمل الهم كان إلي من الدم وبعد الأم أحفر وإردم**"[8]. أي أن الذي يساعدنا على حمل همومنا ومشاكلنا هم الأهل الذين هم من دم واحد، أي من صلب واحد، والمراد بـ"بعد الأم أحفر وإردم" أي أن الأم هي الأصل في حمل الهم ودفعها، وإذا لم تكن هناك أم فما عليك إلا بحفر حفرة وردمهم فيها؛ لأنه لا خير مرجو من إنسان في حضرة الأم.

كما نجد المثل الشعبي التونسي الآخر الذي يقول: "**إلي أمو في البيت يأكل بالزيت**"[9]. ومعنى ذلك أن من كانت أُمه في البيت فليسعد بجميل المأكل، أي أن الأم ستحضر له ما يحب من مأكل ومشرب، وهو الواقع فعلا، فعاطفة الأم تجاه أولادها عاطفة صادقة لا تحكمها مصالح ولا تضبطها حدود، بل إن عاطفة الأمومة جاوزت الإنسان إلى الحيوان، فنجد في الحيوانِ الأمَّ تحفظ صغارها وتعرض نفسها للخطر والهلاك حفاظا على أولادها، وهي غريزة الأمومة الموجودة في كل الأمهات باختلاف أجناسها، ونجد أيضا من الأمثال التونسية التي تصور الأم في أرقى صورها، المثل القائل: "**ما يتيم كان يتيم الأم**"[10]، وأيضا نجد المثلين التونسيين الآخرين: "**إلّي ماتت أمو، طاح فمو**" و"**إذا ماتت أمك، ما عاد حد يهمك**"[11]، ومعنى ذلك أن الأم هي الشخص

الوحيد الذي يستحق أن نحزن من أجله، وعليه لا بد من المحافظة عليها وتذكرها دائما، وإنزالها مكانتها المرموقة التي تستحقها، فإذا ماتت أي توفيت الأم فلا أحد آخر يهمك، أي لا أحد آخر أن يستحق هذا الاهتمام والعناية التي كنت تقدمها لأمك.

كذلك نجد من الأمثال الشعبية الجزائرية التي تبين لنا دور وأهمية الأم في تربية الأبناء وخاصة البنات "**البنات على لمات والخيل على الصفات**" ومعنى لمات أي الأمهات، فالبنت إذا كبرت ونشأت تنشئة صالحة فالفضل يرجع بالأساس إلى أمها، لذلك الأم أحرص من يكون على تربية بناتها ورعايتهن. هذا المثل يتوافق مع المثل الجزائري الآخر الذي يقول: "**كب القصعة على فمها، تطلع البنت لأمها**"، أي أن البنت ستأخذ جميع الصفات البيولوجية والفكرية والأخلاقية التي ورثتها وتلقتها من أمها، لذلك نجد التشابه كبيرا بين الأم وابنتها في كثير من المجالات. كما تصور لنا الأمثال الشعبية الأم باعتبارها حافظة أسرار الابن، فإذا أراد الابن أن يحفظ سرّه فعليه بأمه «**أعط حبك لامرأتك وأعط سرك لوالدتك**»[12]. فالسر يُعطى حصرا للأم لأنها أهل لذلك، ولا يمكن للأم إلا أن تبحث عن مصلحة أبنائها وسبل سعادتهم.

وإجمالا نجد صورة الأم في الأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية متشابهة إلى حد التوافق في تصوير الأم في صور راقية وجميلة، تعكس مكانتها التي تليق بها، ومكانتها التي حفظها لها ديننا الحنيف ومن ثمة ثقافتنا العربية. أما بخصوص نقاط الاختلاف فنلمس بعض الاختلافات في مخارج الحروف وكيفية نطقها، بالإضافة إلى بعض المفردات التي قد نجدها في القاموس الشعبي والعامي الجزائري ولا نجدها في القاموس الشعبي والعامي التونسي والعكس صحيح.

2.3. صورة الزوج: بعد حديثنا عن الصورة الراقية للأم في المَثَلَيْنِ الشعبيين الجزائري والتونسي، نجد المرأة باعتبارها زوجة صورت في كثير من الأمثال بصور لا تعكس حقيقة الزوجة ومكانتها في ثقافتنا الإسلامية والعربية فعلى الرغم من وجود بعض الأمثال التي تتغنى بالزوجة وتصورها في صور راقية وجميلة، نجد بقية الأمثال الشعبية الأخرى ولنقل أغلبها صورت الزوجة في صور مذمومة لا تعكس حقيقة الزوجة باعتبارها شريكة للرجل في هذه الحياة، كما أننا وجدنا الأمثال الشعبية الجزائرية فاقت في كثير من الأحيان الصورة السيئة للزوجة في الأمثال الشعبية التونسية، على الرغم من أن الثقافتين متشابهتان إلى حد معين في هذا الجانب، إلا أن العادات وبخاصة القوانين المدنية أو حتى العرفية كان لها دورٌ كبيرٌ في التأثير على واقع الأمثال الشعبية ومضامينه.

من الأمثلة القليلة التي صَوَرَتْ الزوجة في صور راقية مقارنة بباقي الأمثال الشعبية التي سلكت طريقا آخر في وصف الزوجة، وتصويرها للآخر بصور سلبية تارة وغير مقبولة تارة أخرى، نجد المثل الشعبي الجزائري الذي سبق ذكره: "**أعط حبك لامرأتك وأعط سرك لوالدتك**". فعلى الرغم من أن ظاهر المثل يحث على ضرورة حب الزوج لزوجته، وحتمية أن يعطيها حبه، إلا أن منشأ هذا المثل ومردّه هو عدم إعطاء السر للزوجة، لأن الزوجة لا تكتم أسرار زوجها. هذا المثل الشعبي يتوافق إلى حد كبير مع المثل الشعبي الآخر الذي يقول: "**شاور مراتك وخالف رايها" أو« شاور مراتك وخالف عليها»**[13]، فمن يتلقى المقطع الأول من المثل الشعبي يُوحَى إليه أن المثل يحث على مشاورة الزوجة، وهذا شيء جميل، لكن الواقع يتحدد من تكملة المقطع الثاني الذي يحث على مخالفة رأيها، وهذا في الواقع يصور المرأة على أنها لا تحسن التصرف والتدبير. يتوافق هذا المثل الشعبي الجزائري مع المثل التونسي القائل:

"**لا تاخو كلام المرا، لا إتبّع البهيم من الوَرَا**"[14]، ويقول المثل الشعبي التونسي الآخر أيضا: "**طاعة النساء، تدخل النار**"[15]. كما نجد المثل الجزائري الذي يقول: "**الخير مرأة والشر مرأة**"، فالمرأة يمكن أن تكون مصدرا للخير، وممكن أن تكون مصدرا للشر، وهذا هو الواقع حقيقة، فأفعال وصفات المرأة هي الفيصل للحكم عليها إذا كانت خيّرة أو دون ذلك.

أما كثير من الأمثال الشعبية الأخرى فقد صورت الزوجة بصور غير لائقة وجعلت جميع الزوجات في موضع واحد، من ذلك أن وجدنا الزوجة التي تبقى على حالتها السيئة ولا مجال لإصلاحها مهما فعلنا بها، يقول المثل الشعبي الجزائري: «**اللي فيها فيها لوكان تقطعوا لها يدّيها ورجليها**». "اللي" أي "الذي" وهو اسم موصول، ويعني هذا المثل أن المرأة تبقى دائما على عادتها مهما فعل بها، فحتى لو تم تقطيع يديها ورجليها فستبقى على نفس النهج الذي هي عليه، وهو النهج السيء في نظر زوجها، لذلك لا مجال لمحاولة إصلاح ما قد يكون عيبا، يتوافق أيضا هذا المثل مع المثل الشعبي الآخر الذي يقول: "**رجعت ريما لعادتها القديمة**"، ومعنى ذلك أن المرأة ترجع دائما لعادتها السيئة هذان المثلان الجزائريين يتوافقان في مضمونهما مع المثل التونسي القائل: "**إلّى لَقَى مَرَا، مَايَلَوّجش على عِينِيها**"[16]. أي من وجد امرأة للزواج فلا يبحث عن عينيها، ومعنى ذلك أن من وجد امرأة فليتزوجها دون أن يفتش ويقلب فيها لأنه في النهاية سيصادفه كثير من العيوب والمشاكل، فهذا المثل الشعبي على الرغم من أنه يتوافق مع المثل الشعبي الجزائري السابق، إلا أنه أقل حدة في لغته ومضمونه، ولكنه يشترك معه في الهدف، والهدف هنا هو تصوير المرأة (الزوجة) في صورة سلبية لا تعكس حقيقة جميع النساء، وربما أكثرهن.

تتجاوز هذه الصورة السلبية عن المرأة ممثلة في الزوجة إلى المرأة وهي في حالة طلاق مع زوجها، أو إذا كانت في حالة نشوز مع زوجها، يقول مثلنا

الشعبي: "**ياللي رحتي ووليتي، واش بِنّة خليتي**"، يقال هذا المثل في حق الزوجة التي قد تختلف مع زوجها فتغادر إلى بيت والدها تاركة زوجها، ثم بعد الصلح ترجع إلى زوجها، ولكن بعد ماذا؟ يجيبنا هذا المثل بأنه لا "بِنّة" أي لا جمالية من عودتها إلى زوجها، لأنها أفسدت كل ما يبعث على جمالية الحياة الزوجية، وهنا تقع على الزوجة مسؤولية فساد وخراب الحياة الزوجية حتى لو كانت مظلومة ومسلوبة الحق. هذا؛ وتنتقل الصورة غير السوية عن المرأة (الزوجة) إذا طُلقت من زوجها، فيقول المثل: "**اللي تطلقها ما توري لها الطريق**"، **أما المثل الشعبي التونسي الآخر يقول: "النساء ما دَوَاهم كان العصا**"[17]، ومعنى ذلك أن الدواء الحقيقي الذي تستطب به المرأة هو العصا فكل نشوز أو مخالفة من المرأة لأوامر زوجها، أو تقصير في أعمال البيت يكون الحل والدواء في العصا، فالعصا من هذا المنظور هي الدواء الحقيقي فهذا المثل الشعبي يستدل به الكثير في تبرير عنفهم تجاه أزواجهم، حتى في أخطاء بسيطة قد تحدث بين كل الأزواج.

3.3. صورة البنت: اختلفت صورة البنت في الأمثال الشعبية بين صورتين متناقضتين تماما؛ فالصورة الأولى جعلت من البنت شيئا جميلا في حياة الأب وصورة ثانية أكبر من الصورة الأولى من حيث الحجم؛ صورت البنت في صور مبتذلة لا تعكس حقيقة الرابطة الأبوية بين الأب وابنته، فعلى الرغم من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي جاءت في حق الأبناء والبنات على وجه الخصوص، إلا أن كثيرا من أمثالنا الشعبية خالفت هذه القاعدة الدينية وحتى المجتمعية التي هي عليها ثقافتنا وحضارتنا.

من الأمثال الشعبية التي صورت مكانة البنت في العائلة، ولدى أبيها على وجه الخصوص، نجد المثل الشعبي الجزائري القائل: "**اللي خلى البنات ما مات**"، ومعنى ذلك أن من خلّف وأنجب بناتا فهو لم يمت في حقيقة الأمر

لأن فضل البنات على الآباء قيد حياتهم، سيبقى كذلك حتى بعد وفاتهم، فهذا المثل الشعبي نلمس معناه في المثل الشعبي التونسي الذي يقول: "**إلي ما عندوش البنات، مايَعْرَفْشِ باش مات**" [18]، و"**إلي ماعندهاش بَنَية، تِدْفِنْ روحها وعِينهَا حَيَّة**"[19]، ومعنى ذلك أن البنات أكثر تقربا وتوددا ومعرفة لأحوال الآباء من الأولاد الذكور، فمن لم تكن له بنات أو بنتا، لم يعرف أقارب الأب المتوفى أو بقية الناس هذا الأب عن سبب وفاته.

أما الصورة الأخرى السلبية التي صُورت البنت فيها بأبشع الصور فهي كثيرة وأكبر من أن نذكرها، ولكن حسبنا ما وقفنا عليه من أمثال. تتحدث الصورة المبتذلة الأولى عن البنت إذا وصلت لمرحلة الزواج، فنجد كثيرا من الأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية تصور هذه البنت في صور مبتذلة ومخيفة لا تعكس حقيقة؛ إيماننا وعقيدتنا ثقافتنا، فنجد من الأمثال الشعبية الجزائرية التي تحث الآباء على تزويج البنت إذا بلغت مهما كان الأمر «**الضرسة المسوسة نحيها، والبنت الكبيرة أعطيها** »[20]، فهذا المثل يحث الآباء على تزويج بناتهن مهما كان الأمر، ودليل ذلك هو المقطع الأول من المثل الشعبي الذي يتحدث عن الضرسة المسوسة، فالضرسة المسوسة ألمها ووجعها كبير وأفضل حل هو نزعها والتخلص منها، فكذلك البنت إذا بلغت فلا طريق لها إلا الزواج دون أي انتظار. هذا المثل يتعالق مع كثير من الأمثال الشعبية الجزائرية التي تحث على تزويج البنت إذا بلغت لأن خطرها وإثمها عظيم فنجد المثل القائل: "**زوج البنت صغيرة تعيش متهني**»[21]، "**زوج ابنك متى أردت، ولكن زوج ابنتك متى استطعت**"[22].

فهذه الأمثال الشعبية تبين لنا سبيل الهناء للآباء وهو أن يزوجوا بناتهم متى استطاعوا، وحقيقة الأمر أن الأب قد يهنأ بتزويج بنته، ولكن إذا توفرت الشروط والتوافق، وليس أن يفرض فرضا من أجل التخلص من البنت وكأنها

سلعة يخشى كسادها. فهذه الأمثال الشعبية الجزائرية تشترك في مضمونها مع الأمثال الشعبية التونسية التي تحث على تزويج البنت بل والذهاب أبعد من ذلك، حيث أنه إذا لم تزوج بنتك فلا خيار لك إلا أن تقبرها، وهذا ما يقوله المَثَلان الشَعبِيَان التونسيان: "**البنت إذا كبرت مالها إلا ذَكَرْ وإلا قبر**"[23] "**الطفلة بيتها قبرها**"[24]، "**الطفلة تخرج لعرس أو للقبر**"[25] ومعنى ذلك أن البنت لها طريقان فقط في حياتها؛ فالأول أن تتزوج ويهنأ بها والدها، أو أن تقبر ويهنأ أيضا بها. فهذا المثل الشعبي التونسي في الحقيقة يبين لنا جانبا نسقيا مسيطرا على فكرنا منذ القدم ومنذ الجاهلية، على الرغم من مخالفة هذه الأمثال الشعبية مجمل المقولات التي أقرتها شريعتنا الغراء، أيضا من الصور السلبية والسيئة الكثيرة التي نجدها في الأمثال الشعبية في حق البنت، بأن البنت هي سبب الشقاء وتعاسة العيش للآباء، يقول المثل الشعبي الجزائري: "**اللي عنده البنات، عنده الهم بالحفنات**"[26]. والمثل الشعبي التونسي أيضا "**إلّي عندو البنات عندو الهم بالحفنات**"[27]، "**بُو البنات ما يبات هاني**"[28]. فهذه الأمثال الشعبية تبين لنا أن من أنجب بنات فهمه بالحفنات، ومعنى ذلك أن همه عظيم بسبب ما يلحقه من بناته من أذية، ويقول المثل الشعبي الآخر: "**زوج أحناش في غار ولا زوج بنات في دار**"، فهذا المثل الشعبي صور لنا البنات في أبشع صور، حيث أن "الأحناش" والتي تعني "الأفاعي" وما يلحق من مخاطر للإنسان بسببها، هي في الحقيقة أقل خطرا من البنات. كما أن خطر البنات لا يقتصر على الآباء فحسب، بل يجاوزهم أيضا إلى الأمهات: "**إلي عندها بَنَية ما تقضي عليها كان هيَّ**"[29] ومعنى ذلك أن من أنجبت بنتا، فإن هذه البنت هي سبب هلاك أمها في النهاية.

تعددت الأمثال الشعبية التي صورت البنت في صور سيئة لا تعكس حقيقة عقيدتنا، ثم إن هذه الصور التي سبق سردها كانت في حق "البنات والزوجة"

وإلا فإن كثيرا من الأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية والعربية عموما، صورت المرأة في صور مبتذلة تبعث على الخوف منهن تارة، والخيانة وعدم الوفاء تارة أخرى، وتبعث أيضا على عدم احترامهن والتقليل من قدرهن ومكانتهن التي حفظها لهن ديننا الحنيف.

لكن بالمقابل قد لا نُحمّل كل الأمثال الشعبية ما لا تحتمل، ومردّ ذلك هو إنزال هذه الأمثال الشعبية منزلة غير التي أوردت فيها، ومعنى ذلك أن كثيرا من الأمثال الشعبية سيقت في مواضع لم تكن نفس المواضع التي قيل فيها المثل الأول، فالمثل الشعبي يصور لنا حادثة وقعت في لفظ موجز من أجل أخذ العبرة، لكن ما هو متداول بيننا في كثير من المرات أن هذه الأمثال الشعبية تساق في حوادث لم تكن موافقة للحادثة الأولى التي كانت سببا في ظهور هذا المثل الشعبي، خاصة وأن الأمثال الشعبية مثلما سبق ذكره هي كثيرة الجري على الألسن، كما أنها تنقل مشافهة بين الناس، وكذلك لا تختص بها طبقة أو فئة عمرية دون أخرى، هذا ما جعل من الأمثال الشعبية متاحة للجميع، وجعل سوقها والتمثيل بها أيضا متاحا للكثير، فالمثل "ورده حقيقي معلوم والتمثيل له مطلب محمود. غير أن المثل شابه العدول وقيل في غير لزوم، أصبح المثل كثيره نسقي معلول، ويسيره محفوظ يخشى أن يشوبه التمثيل المضروب. لذلك وجب كشف كل مثل موبوء لأنه مستكره ممجوج"[30]. فالأمثال الشعبية أحد فنونا الأدبية التي نحتاجها في كثير من المواضع؛ خاصة ما تعلق بالاستدلال والاستشهاد، لكن بالمقابل أضحت كثير من الامثال تضرب في غير سياقها، ويحتج بها في غير موضعها، وهذا ما انعكس سلبا على وظيفة الأمثال الشعبية؛ فأصبحت تلقى في غير مضربها وموضعها من أجل الحجة والبيان والعبرة، لذلك نجد كثيرا من الأمثال الشعبية أصبحت تدلل على معاني

ليست هي المعاني الحقيقية التي تعنيها؛ وهذا راجع بالأساس إلى توظيفها بغير موضعها.

خاتمة: يعتبر المثل الشعبي من الفنون الأدبية الراقية التي تصور لنا ما نعيشه من حوادث في قالب أدبي، ولغوي، وفني جميل، يجمع بين جزالة اللفظ وكثافة المعنى، ولهذا اختص المثل بجملة من الخصائص التي لم تتوفر في غيره من الأجناس الأدبية والفنية الأخرى، ذلك أن المثل الشعبي "قول موجز" ما يساعد على حفظه بين عامة الناس، كما أن لغته تجمع بين الفصحى والعامية. ومن خصائصه الفنية والجمالية أيضا أنه يصور حوادث مختلفة يشترك فيها الناس من أجل أخذ العبرة وعدم الوقوع في نفس الأخطاء. كما أن الأمثال الشعبية سريعة الجري بين ألسن الناس ذلك أنها تنقل مشافهة فيسهل على الناس حفظها وتداولها.

تعددت صورة المرأة في الأمثال الشعبية واختلفت باختلاف مكانتها بين قومها ومجتمعها، ولكن على الرغم من ذلك وبعد دراستنا لعدد كبير من الأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية وجدنا صورة المرأة في هذه الأمثال الشعبية لا تعكس حقيقة مكانة المرأة باعتبارها أما أو أختا أو بنتا أو غير ذلك. فكما تقدم في الدراسة صُورت المرأة في صور نمطية مبتذلة في أكثر الحالات، بل وجدنا كثيرا من الأمثال الشعبية بذخت في الطعن فيها وإنزالها منازل لا تليق بها باعتبارها زوجة أو بنتا أو أختا أو غير ذلك. والواقع أن كثيرا من هذه الأمثال الشعبية يستدل بها وتساق في غير موضعها من أجل تبرير أي فعل قد يكون تجاه هذه المرأة.

تبقى الأمثال الشعبية الجزائرية والتونسية، أو العربية عموما تعكس خطابنا الأدبي والثقافي والحضاري، لذلك وجب علينا الحفاظ عليها، وتدوينها والاستدلال بها. كما أنه لزاما علينا أن نحفظ هذه الأمثال من كل عدول وانزياح

قد يصيبها في لغتها (الفصحى والعامية) أو في مضمونها، أو في موردها الأصلي.

هوامش:

[1] . ابن منظور لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص:610.

[2] . الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط8، لبنان، 2005م ص: 1056.

[3] . ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة لطباعة والنشر، لبنان، 1981م، ص:18.

[4] . فريد مناصرية، النقد الثقافي وسؤال النسق –مفاهيم وتطبيقات–، دار المثقف، ط1 2020م، الجزائر، ص: 115.

[5] . ليلى محمد بلخير، خطاب المؤنث في الرواية الجزائرية، دار راس الجبل للنشر والتوزيع قسنطينة، 2016م، ص: 36.

[6] . مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، ط1 بيروت، لبنان، 1991م، ص:1974م.

[7] . ياسين بن رمضان، الموسوعة الجلية لأمثال الشعبية التونسية، دار سحر للنشر، ط2 تونس، 2017م، ص: 51.

[8] . المرجع نفسه، ص: 49.

[9] . المرجع نفسه، ص: 51.

[10] . المرجع نفسه، ص: 243.

[11] . المرجع نفسه، ص: 344.

[12] . مولود ميتيش، المختار في الحكم والأمثال، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2017م، ص: 30.

[13]. قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، تر: عبد الرحمان الحاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، ص: 154.

[14] . ياسين بن رمضان، الموسوعة الجلية لأمثال الشعبية التونسية، مرجع سابق ص:270.

[15] . المرجع نفسه، ص: 270.

[16]. المرجع نفسه، ص: 06.

[17] . المرجع نفسه، ص: 271.

[18]. المرجع نفسه، ص: 100.

[19] . المرجع نفسه، ص: 102.

[20]. مولود ميتيش، المختار في الحكم والأمثال، مرجع سابق، ص: 38.

[21]. نبيلة عبد الشكور، المرأة في الأمثال الشعبية، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر 2012م ص: 24.

[22]. مولود ميتيش، المختار في الحكم والأمثال، مرجع سابق، ص:68.

[23]. ياسين بن رمضان، الموسوعة الجلية لأمثال الشعبية التونسية، مرجع سابق ص:100.

[24]. المرجع نفسه، ص: 99.

[25]. المرجع نفسه، ص: 100.

[26]. مولود ميتيش، المختار في الحكم والأمثال، مرجع سابق ص:45.

[27]. ياسين بن رمضان، الموسوعة الجلية لأمثال الشعبية التونسية، مرجع سابق ص: 100.

[28]. المرجع نفسه، ص: 100.

[29]. المرجع نفسه، ص: 100.

[30]. فريد مناصرية، النقد الثقافي وسؤال النسق – مفاهيم وتطبيقات –، دار المثقف ط1، 2020م الجزائر، ص: 03.